كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

Journal of College of Sharia & Islamic Studies

نصف سنوية – علمية محكمة

Academic Refereed – Semi-Annual

ISSN 5545 – 2305

المجلد ٣٤– العدد ١ – ربيع ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦ م

Vol. 34– No.1, 2016 A / 1437 H

الإظهار والإدغام الصرفيان ودلالاتهما المعنوية عند اليقاعي من خلال تفسيره (نظم الدرر) دراسة نقدية

تأليف

د. حاتم جلال الدين

أستاذ مشارك كلية القرآن والدراسات الإسلامية

جامعة القدس – فلسطين

ملخص

الإظهار والإدغام الصرفيَّان ودلالاتهما المعنوية عند البقاعيِّ من خلال تفسيره (نظم الدرر) «دراسة نقدية»

تشتمل هذه الدراسةُ على التَّعْرِيفِ بالدلالات المعنويَّة للإظهار والإدغام الصرفيَّيْنِ من خلال تفسير (نظم الدرر)، لبرهان الدين البقاعيِّ (ت ٨٨٥هـ)، مع مناقشةٍ لتلك الدلالات، وبيان مدى صحتها في ضوءِ أصولٍ وضوابطَ منهجيَّةٍ وضعها الباحث. وتهدف هذه الدراسة إلى التوصل إلى رأيٍ صائبٍ فيما يتعلق بتلك الدلالات. واتبع الباحث في دراسته بشكل رئيسٍ على المنهجين: الاستقرائيِّ والوصفيِّ. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث أن البقاعيّ هو الوحيد الذي رتَّب دلالات معنوية للإظهار والإدغام الصرفيَّيْنِ، ولم يذكر ذلك أحد قبله، ولم يتابعه على ذلك أحدٌ بعده. وأنه لا بد لنظرية البقاعيّ من أصولٍ وقواعدَ؛ كي تكون منضبطةً وخاليةً من الثغرات والعيوب.

ABSTRACT

The Morphological show and slurring

and their moral connotations at Al–Biqaa'i

in his explanatory « Nathm al Dorar »

"A critical study"

This study includes the definition of the moral connotations of the morphological show and slurring in the explanatory "Nothom al Dorar" of Borhan eldin Al-Biqaa'I (died 885 AH). The study includes discussing these connotations, and the statement of validity in light of assets and methodological controls developed by the researcher.

This study aims to reach correct opinion with respect to those connotations.

The methodology of the research is authenticity based on two approaches: inductive and descriptive. Most important findings of this research is that Al-Biqaa'i is the only one who sorted the moral connotations of the morphological show and slurring. No author mentioned this before him and no other one continued after him. It shows as well that Albiqaa'i theory should have assets and rules in order to be disciplined and free of gaps and defects.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وأحكمه، وضمَّنه من البلاغة والبيان ما أعجز الإنس والجان عن الإتيان بسورة من مثله، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.... فإن بلاغة القرآنِ الكريمِ قد فاقت كل البلاغات، وسَمَتْ فوق كلِّ الفصاحات، بلاغةٌ حيَّرت العقول، وأخذت بمجامع القلوب، كشف العلماء الراسخون عن طَرَفٍ منها، وتوالت الكتبُ والمؤلفاتُ خلال العصور محاولةً إماطة اللثام عن بقية وجوه بلاغة هذا الكتاب العظيم، فقعَّدوا قواعد، وأسَّسُوا لنظريات تُجَلِّي عظمةَ هذا الكتاب، وتستخرج دُرَرَهُ ولآلئَه، فمن تلك الجهود ما ذاع وانتشر، وشاع واشتهر، ومنها ما ينل تلك الشهرة؛ ومن هذا القبيل نظريةُ برهان الدين البقاعيِّ (ت ٨٨٥ هـ) في استخراج دلالاتٍ معنويَّةٍ من الإظهار والإدغام الصرفِيَّيْن، وقد تحدث عنها البقاعيّ في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه الفذِّ (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**)، فكان حريّاً بالدارسين والباحثين أن يوجهوا أنظارهم نحو تلك النظرية، ويسبروا غورها؛ لبيان مدى مناسبتها وصلاحيتها لتفسير القرآن الكريم، فوقع اختياري على هذا الموضوعِ للكتابةِ فيه، وأسأل اللهَ تعالى العونَ والتوفيقَ والسدادَ.

أسباب اختيار الموضوع

١. الرغبةُ في عمل دراساتٍ مُحَقَّقَةٍ مُدَقَّقَةٍ في علم التفسير.
٢. الحرص على تفسير القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً، بعيداً عن الأقوال الضعيفة.
٣. عدمُ وجودِ دراسات سابقة حول هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

١. الوقوف على أهم الدلالات المعنوية التي ذكرها البقاعيُّ للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ.
٢. بيان المآخذ وأوجه الضعف في تلك النظرية.
٣. بيان الأسس والضوابط التي يمكن أن تؤديَ إلى التوصل إلى رأيٍ صائبٍ في تلك النظرية.

أهمية الدراسة:

١. أَتَّهَا الأولى –بحسب علم الباحث– التي تناولت هذا الموضوع.
٢. تستمدُّ أهميَّتَهَا من أَهَمِّيَّةِ موضوعِهَا، وهو من أشرفِ العلوم.
٣. أَنَّ القولَ بوجود دلالات معنوية للإظهار والإدغام الصرفيين أو عدمَ القولِ به يترتب عليه آثارٌ في تفسير بعض آيِ القرآن الكريم.

حدود الدراسة:

هذه الدراسةُ محدودةٌ بدراسةِ الإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ من خلال تفسير (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**) لبرهان الدين البقاعيِّ رحمه الله تعالى.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تكمن مشكلة الدراسة في أن الصرفيين والبلاغيين والمفسرين لم يذكروا دلالاتٍ معنويةً مترتبةً على الإظهار أو الإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ، في حين أن البقاعيَّ قد ذكر دلالاتٍ معنويةً لذلك. وهذا ما يثير مجموعةً من الأسئلة، يأمل الباحث أن يتمكن من الإجابة عنها من خلال هذا البحث:

١- ما الدلالات المعنوية للإظهار الصرفيِّ كما ذكر ذلك البقاعيّ؟ وهل يُسَلَّمُ له ما ذكر؟

٢- ما الدلالات المعنوية للإدغام الصرفيِّ كما ذكر ذلك البقاعيّ؟ وهل يُسَلَّمُ له ما ذكر؟

٣- هل استعرض البقاعيّ في تفسيره دلالات جميع مواضع الإظهار والإدغام الموجودة في القرآن الكريم؟ أم فاته من ذلك شيءٌ؟

٤- ما الشروطُ والضوابطُ اللازمة من أجلِ تصويبِ نظريَّةِ البقاعيِّ في وجود دلالاتٍ معنويَّةٍ للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ؟

الدراسات السابقة:

لم يَقِفِ البَاحِثُ عَلَى دِرَاسَةٍ أَصَّلَتْ موضوعَ الدلالات المعنوية للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ بحسبِ المنهجِ العلميِّ.

منهجية البحث:

اتبع الباحثُ المنهجَ الاستقرائيَّ؛ إذ قام باستقراءِ المواضع التي وظَّف فيها البقاعيَّ الإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ في تفسير القرآن الكريم، واستخراجِ الدلالات المعنوية التي فرَّعها على ذلك. وَاتَّبَعَ الباحثُ أيضاً المنهجَ الوصفيَّ؛ وذلك بِذِكْرِ ما يتعلَّقُ بتلك الدلالات ومناقشتها وبيان ما يَرِدُ عليها.

خطة البحث:

جاءَ هذا البحثُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ وأربعةِ فصولٍ وخاتمةٍ، وذلك عَلَى النحو الآتي:

المقدمة: وفيها استعراضُ أدبيَّاتِ البحثِ.

الفصل الأول: مدخلٌ وتأصيلٌ.

الفصل الثاني: دلالات الإظهار عند البقاعيّ.

الفصل الثالث: دلالات الإدغام عند البقاعيّ.

الفصل الرابع: مواضع لم يتعرض لها البقاعيّ.

الخاتمة: وفيها أهمُّ النَتَائِجِ.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الفصل الأول: مدخلٌ وتأصيلٌ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء علماء اللغة والتفسير في وجود دلالات معنوية للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ

تحدث الصرفيون عن مواضع الفك والإدغام، سواء الواجب منهما والجائز، وكتبهم حافلة بذلك، ولا يتسع المقام لنقل ما ذكروه[1]. ولم يذكر الصرفيون –بحسب علم الباحث– أيَّةَ دلالاتٍ معنويةٍ تترتَّب على الفك أو الإدغام.

وأما البلاغيون فقد تطرقوا إلى ذكر دلالات للذكر والحذف؛ كذكر المسند إليه أو حذفه، أو ذكر المسند أو حذفه، وغير ذلك[2]، ولكنهم لم يضمنوا كلامهم أية دلالاتٍ بلاغيةٍ للإظهار أو الإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ.

وكذلك فلم يذكر المفسرون –في حدود علم الباحث– أيَّةَ دلالاتٍ معنويةٍ للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ.

ويؤخذ مما سبق عدم وجود نصوصٍ للصرفيين ولا للبلاغيين ولا للمفسرين في أن للإظهار أو الإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ دلالاتٍ معنويةً تترتب عليهما.

غير أن العلامةَ برهانَ الدين البقاعيَّ (ت ٨٨٥هـ) –وهو مفسِّرٌ نِحْرِيرٌ، وعَلَمٌ شهيرٌ، وأحدُ أوعية الْعلم المفرطين فِي الذكاء، الجامعين بَين علمي الْمَعْقُول وَالْمَنْقُول، كما وصفه الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)[3]– قد ضَمَّنَ تفسيره المسمى (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**) مواضعَ كثيرةً، تكلم في عن دلالات معنوية للإظهار والإدغام، ذات أثر في تفسير القرآن الكريم. والذي ظهر للباحث بعد التحرِّي والتنقيب فإن المفسرين الذين جاؤوا بعد البقاعيّ لم يتابعوه على هذه النظرية، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية ٢٠٨/١ وما بعدها. توضيح المقاصد والمسالك ١٦٣٨/٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز للجرجاني ١٤٦/١ وما بعدها. الإيضاح للقزويني ٤/٢، وما بعدها. علوم البلاغة للمراغي ص: ٨٩ وما بعدها.

(٣) البدر الطالع للشوكاني ٢٠/١.

وكون البقاعيّ رحمه الله قد أتى بما يذكره العلماء من قبله لا يطعن –من حيث المبدأ– في نظريته، ولا يحطُّ من شأنها، وذلك كما قال حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ): «والعلومُ مِنَحٌ إلهيَّةٌ، ومواهبُ صَمَدانيَّةٌ، فغير مستبعدٍ أن يُدَّخَرَ لبعض المتأخرين، ما لم يُدَّخَرْ لكثيرٍ من المتقدمين»[1]. بيْدَ أن الأهمَّ في هذا المقام هو مدى صحةِ تلك النظرية، وسلامتها من الخلل والعيوب، فإن كانت كذلك قُبِلَتْ، وإلا فلا. وهذا هو الهدفُ الأهمُّ لهذا البحث.

المبحث الثاني: المواضع الإجمالية التي ذكر فيها البقاعيُّ دلالاتٍ معنويةً للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ

يمكن إجمالُ مواضع الإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ التي جعل لها البقاعيُّ دلالاتٍ معنويَّةً في الآتي:

1. الإظهار بمعنى عدم التضعيف في الفعل الماضي، أو المضارع، أو الأمر، أو اسم الفاعل، نحو: ﴿حَيِيَ﴾، ﴿يَمْسَسْكَ﴾، ﴿فَامْنُنْ﴾. والإدغام بتضعيفه، نحو: ﴿شَاقُّوا﴾، ﴿يُحَاجُّونَ﴾، ﴿الْمُطَّهِّرِينَ﴾. ولم يأتِ في القرآن الكريم اسم فاعل من فعل ثلاثيٍّ غير مضعفٍ؛ لأن تضعيفه في هذه الحالة واجب، وكذا لم يأتِ فعلُ أمرٍ مضعفاً؛ لأن الأفصح عدم تضعيفه، كما سيأتي مفصَّلاً في مواضعه من البحث إن شاء الله تعالى.

2. الإظهار بمعنى إثبات التاء في الأفعال المضارعة والماضية وأسماء الفاعلين مما تصرَّف من: «تَفَعَّلَ» و«تَفَاعَلَ»، نحو: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، و﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾، و﴿الْمُتَصَدِّقِينَ﴾. والإدغام بمعنى إبدال التاء وتصييرها مع ما بعدها من الحروف المقاربة لها حرفاً واحداً مشدداً؛ نحو: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾، و ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾، و﴿الْمُصَّدِّقِينَ﴾.

3. الإظهار والإدغام في مواضعَ مخصوصةٍ مما اختلف فيه القراء؛ نحو: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾، و﴿نَخْسِفْ بِهِمْ﴾، و﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾. وهذا القسم في حقيقته ليس مندرجاً تحت الإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ، ولكن لقربه منهما، ولكون البقاعيّ قد جعل للإظهار والإدغام فيهما دلالاتٍ معنويَّةً، ومن باب: أن الشيء بالشيء يذكر، فقد رأى الباحث أن يضمنهما في البحث.

المبحث الثالث: أصولٌ وضوابطُ عامَّةٌ ترتكز عليها مناقشةُ نظريةِ البقاعيِّ

قبل استعراض ما ذكره البقاعيُّ من الدلالات المعنوية التفسيرية المترتبة على الإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ لا بُدَّ من تقرير بعض الأصول والضوابط العامة، والتي يظهر من خلالها مدى صحة ما ذهب إليه البقاعيُّ، وهي في الوقت ذاته ضوابطُ ضروريَّةٌ من أجل تقويم تلك النظرية وتخليصها مما يضعفها، وأهم هذه الأصول والضوابط:

(١) كشف الظنون ٣٨/١.

- ضرورة التقيُّد بالقواعد المقررة في علم الصرف فيما يتعلق بمواضع الفك والإدغام، من حيث كونهما واجبين أو جائزين، مع الانتباه إلى الوجه الراجح في حالة كونهما جائزين. ولذا فإن ترتيب دلالات على وجهٍ مرجوحٍ أو ضعيفٍ في العربيةِ مما لا ينبغي أن يكون؛ لأن القرآن الكريم إنما جاء بالأفصح من اللغة، فلا يُفترض فيه وقوع غير الأفصح؛ لأنه افتراضٌ لأمر يتنافى مع إعجاز القرآن.

- أن لا تُناقضَ الدلالاتُ المذكورةُ منطوقَ الآية أو سياقَها؛ لأن دلالةَ المنطوقِ تُقدَّمُ على المفهوم. والسياق هو الذي يعين على فهم الآية، وتحديد المراد منها بدقَّةٍ.

- أن تكون الدلالاتُ متطابقةً في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة أو التركيب؛ لأن انطباقها على بعض المواضع دون بعضٍ سيؤدي إلى ضعفِها وردِّها.

- أن تكون الدلالاتُ المذكورةُ متوافقةً مع جميع القراءات المتواترة؛ لئلا يضربَ بعضُ القراءاتِ بعضاً. وهذا محالٌ في حقِّ القرآن الكريم.

- اعتمادُ أساسٍ منضبطٍ في الدلالات المعنوية المرتبة على الإظهار والإدغام؛ من حيثُ الحملُ على التخفيف أو التثقيل، أو التقليل أو التكثير، أو من حيث جعل المعنى المذكور مبنياً على ذات الفعل أو على بعض متعلقاته. وأما أن تكون الدلالاتُ المذكورةُ عشوائيةً لا تستند إلى أساسٍ منضبطٍ فذلك مما ينبغي أن يُنَزَّهَ القرآنُ عنه.

- ملاحظة الأفعال التي التزم مجيئها في القرآن الكريم حالةً واحدةً؛ مثل ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾، فلم يأت في القرآن الكريم كله، ولا في أيٍّ من قراءاته (تَفَكَّرُونَ)، وبين الأفعال التي جاءت بحالتين أو أكثر؛ نحو: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ و﴿تَذَكَّرُونَ﴾، و﴿تَذَّكَّرُونَ﴾، فهذه التي يمكن أن تُطرح على بساط البحث؛ وصولاً إلى ما فيها من اللطائف. وأما النوع الأول فالذي يترجح لدى الباحث عدم التطرق إليه.

- مراعاة أسس الرسم العثماني، ومعرفةُ قواعِدِهِ؛ فإن في ذلك إجاباتٍ شافيةً لبعض القضايا المتعلقة بموضوع هذا البحث.

الفصل الثاني: دلالات الإظهار عند البقاعيّ

تكلم البقاعيّ في مواضعَ كثيرةٍ عن دلالاتٍ معنويةٍ للإظهار الصرفيّ، لها آثارها في تفسير القرآن الكريم، وفي كثيرٍ من المواضع كان يسميه «الفكّ»، ويعني بذلك أن الحرفينِ جَاءَا من غير أن يكون أحدهما مدغماً في الآخر. وفيما يأتي عرضٌ لتلك الدلالات، مع مناقشةٍ لما ذهب إليه:

المبحث الأول: الظهور والجلاء

وهذه الدلالة من أكثر الدلالات التي أوردها البقاعيّ للإظهار، ومن الأمثلة عليها.

١. قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ذكر البقاعيُّ أن «يتذكرون» معناه: ليكونوا على حالة يظهر لهم بها حسنُ ما دعاهم إليه، وقبحُ ما نهاهم عنه غاية الظهور، وأن الذي دلَّ على «غاية الظهور» هو إظهار التاء في «يَتَذَكَّرُونَ»[1].

وما ذهب إليه البقاعيّ هنا يمكن أن يناقش بالآتي:

* اعتبر البقاعيّ هنا أن إظهار التاء يدل على كون الآيات التي يبينها الله للناس ظاهرةً في غاية الظهور، بينما ذكر دلالاتٍ أخرى مغايرةً في المواضع الأخرى للفعل «يتذكر» أو «يتذكرون»، مع أن السياقات متشابهةٌ. وفي هذا اضطرابٌ في المنهج كما لا يخفى.

* يلاحظ هنا أن الظهور لا يتعلق بفعل التذكُّر نفسه؛ بل يتعلق بالآيات المبيَّنة، وهذا اضطراب أيضاً في المنهج.

* الظهور غاية الظهور مستفاد من أصل معنى «يبيِّن»، وبما أن المعنى مدلولٌ عليه بالمنطوق فلا داعيَ إلى استخراجه من المفهوم، هذا إذا اعتُبِرَ مفهوماً.

٢. ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ذكر البقاعيُّ أن الفك في الفعل «يُمْدِدْكُمْ» يعني إمداداً جلياً[2].

وما ذكره البقاعيُّ هنا عليه أكثر من ملحظ:

* ذكر البقاعيُّ في تفسير الآية السابقة لهذه الآية؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، أن الفعل «يُمِدَّكُمْ» جاء مدغماً؛ للإشارة إلى كون الإمداد خفياً[3].

ومما يرد على هذا الموضع أن الفعل «يُمْدِد» مفكوكاً جاء في القرآن الكريم في أربعة مواضع: الموضع المتقدم في آل عمران وثلاثة أخرى؛ وهي: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥]، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢]. وقد أغفل البقاعيّ موضعي: مريم والحج، وذكر دلالةً للفكِّ في آل عمران ونوحٍ، مع ملاحظة اختلاف الدلالة بينهما[4].

(١) نظم الدرر ٢٧٤/٣.
(٢) نظم الدرر ٥٧/٥.
(٣) نظم الدرر ٥٧/٥.
(٤) حيث ذكر أن دلالته في آل عمران هي الظهور والجلاء. بينما ذكر في نوح أنها المبالغة والبسط والسعة.

* الأقرب إلى الصواب أن كلاً من الفك والإدغام في موضعيْ آل عمران جاء متفقاً مع المقرر من قواعد العربية[1]؛ فالآية ١٢٤ جاء الفعل فيها مدغماً لأنه غير واقع في حيِّزِ الجزم، ولذا يترجح إدغامه، وأما في الآية ١٢٥ فجاء في حيِّزِ الجزم، ولذا يترجح فَكُّهُ. والله تعالى أعلم.

٣. قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ [يونس: ٨٨]، ذكر البقاعيُّ أن الفكَّ في الفعل «اشدد» يدلُّ على أنه شدٌّ ظاهرٌ لكلِّ أحدٍ[٢].

وما ذكره البقاعيُّ هنا لا يسلم، ويناقش بالآتي:

* أن الفعل «شُدَّ» المضعف لم يرد في القرآن الكريم، والأصل أن تكون المقارنة بين فعلين أتى كلٌّ منهما في القرآن الكريم.

* الفك هنا متفق مع الراجح عند علماء الصرف، وهو الأفصح والأكثر في الأمر من الفعل المجرد[3]. والقرآن الكريم إنما جاء بالأفصح من اللغة، فلا يفترض فيه وقوع غير الأفصح.

* ورد الفعل «اشدد» مفكوكاً قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**﴾ [طه: ٢٩، ٣١]، ولم يذكر له البقاعيُّ هنالك[4] هذا المعنى الذي ذكره هنا؛ ومثل هذا التفسير المذكور هنا لا يتَّجِهُ هنالك؛ لأن شد الأزر المطلوب هو لموسى عليه السلام وحده، وليس المطلوب أن يكون ظاهراً لكل أحدٍ.

٤. قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ**﴾ [يونس: ١٠٧]، ذكر البقاعيُّ أن الفكَّ في «يَمْسَسْكَ» يشير -فيما يشير إليه- إلى أنَّ الضرَّ المذكور قد يكون ظاهراً جداً[5].

ومما يناقش به البقاعيُّ هنا:

* أن الفك متفق مع الراجح عند علماء الصرف، وهو الأفصح والأكثر استعمالاً في الفعل المجزوم[6]. فالإدغام في مثل هذا وإن كان جائزاً في اللغة إلا أن الفك أشهر منه وأفصح.

* البقاعيّ نفسه لم يذكر شيئاً من هذا القبيل عن موضع سورة الأنعام، الآية ١٧، مع أن لفظهما واحدٌ[7].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٧٤/٤.
(٢) نظم الدرر ١٨٠/٩.
(٣) ينظر: شرح ابن عقيل ٢٧٤/٤.
(٤) نظم الدرر ٢٨٤/١٢.
(٥) نظم الدرر ٢١٨/٩.
(٦) ينظر: شرح ابن عقيل ٢٧٤/٤.
(٧) نظم الدرر ٣٩/٧.

* يلاحظ هنا أن الظهور أو عدمه لا يتَّصل بذات الفعل؛ وإنما يتَّصل بمتعلقه؛ وهو الضر. والمنهجية العلمية تقتضي اعتمادَ أساسٍ مُوَحَّدٍ في النظرية كلِّها.

٥. قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ**﴾ [الكهف: ١٩]، ذكر البقاعيُّ أن إظهار التاء في «لِيَتَسَاءَلُوا» يشير إلى أن ذلك التساؤل في غاية الظهور[1]. وذكر نحو ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [الصافات: ٥٠][2].

ويناقش كلامه هنا بالآتي:

* من المقرر أن الوصف هو أحد المقيِّدات[3]، وهذا مما يضعف قول البقاعيّ؛ إذ يصير المعنى: ليتساءلوا تساؤلاً ظاهراً، فتكون العلةُ مقيَّدةً بهذا الوصف. وهذا المعنى مما لا تحتمله الآية.

* ورد الفعل «يتساءلون» بإظهار التاء في ثمانية مواضع في القرآن الكريم[4]، واقتصر البقاعيّ على ذكر غرضٍ للإظهار في موضعي الكهف والصافات المتقدمين، ولم يذكر شيئاً في المواضع الستة الأخرى. وفي بعض تلك المواضع لا يستقيم ما ذكره البقاعيُّ؛ كقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١]؛ إذ يكون فيها نفي التساؤل الظاهر عنهم، فلا يُنفى عنهم التساؤل غير الظاهر! وهو معنىً غير صحيحٍ.

* الفعل «تَسَّاءَلُون» بإدغام التاء قد ورد في القرآن الكريم مرتين فقط:

الأولى: قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١] على قراءة غير الكوفيين[5]. ولم يطبق البقاعيّ نظريته في هذا الموضع، وبمقتضى تطبيقها فإن الإدغام هنا ينبغي أن يشير إلى أن التساؤل في الآية خفيٌّ غيرُ ظاهرٍ!! وهو ما يأباه سياق الآية وسباقها.

الثانية: قوله تعالى: ﴿**يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ**﴾ [الأحزاب: ٢٠] على قراءة رويس[6]. والبقاعي لم يطبق نظريته في هذا الموضع أيضاً، بل كلامه فيها أن السؤال –على قراءة التشديد– يَحْدُثُ بشكلٍ جهريٍّ من غير استحياء[7]. وهو ما يتعارض مع أسس نظريته.

---

(١) نظم الدرر ١٢/٣٠.

(٢) نظم الدرر ١٦/٢٣٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ١٠/١٥٢. روح المعاني للآلوسي ٦/٣٥٥.

(٤) الكهف: ١٩، المؤمنون: ١٠١، القصص: ٦٦، الصافات: ٢٧، الصافات: ٥٠، الطور: ٢٥، المدثر: ٤٠، النبأ: ١.

(٥) قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخَلَفٌ، بتخفيف السين؛ على حذف إحدى التاءين، وقرأ الباقون من العشرة بالتشديد؛ على إدغام تاء التفاعل في السين. [ينظر: النشر لابن الجزري ٢/٢٤٧. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص: ٢٣٦].

(٦) قرأ رويس بتشديد السين المفتوحة، وألف بعدها، وأصلها «يتساءلون» فأدغم التاء في السين. وقرأ الباقون من العشرة بسكون السين، بعدها همزة بلا ألف. [ينظر: النشر ٢/٣٤٨. إتحاف فضلاء البشر ص: ٤٥٣].

(٧) نظم الدرر ١٥/٣٢٢.

المبحث الثاني: التفخيم والتعظيم

وقد ذكر البقاعيُّ هذا المعنى للإظهار في عدَّة مواضعَ من تفسيره، منها:

١. قوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [السجدة: ٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإظهار في الفعل «تتذكرون» يعني: تذكراً عظيماً[(١)].

وما ذكره البقاعيُّ غير مسلَّم؛ بل الكلام هنا متدافع؛ فإن مقام الإنكار عليهم يقتضي أن يكون الإنكار عليهم بأنهم لا يتذكرون أدنى تذكُّر، وذلك يشمل ما فوقه بطريق الأولى. وأما على تفسير البقاعيِّ فإن مَحَطَّ الإنكارِ هو عدمُ تَذَكُّرِهم تذكراً عظيماً! فإذا تذكَّروا تذكُّراً غيرَ عظيم لم يُنكر عليهم! وهذا غلطٌ ينزَّه عنه القرآن الكريم.

٢. قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩]، ذكر البقاعيُّ أن الإظهار في الفعل «وليتذكر» يعني تذكراً عظيماً جلياً[(٢)]. وذكر نحو ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ**﴾ [النازعات: ٣٥][(3)].

وَيَرِدُ على ما قاله البقاعيّ عدةُ أمورٍ، منها:

* أن موضع سورة «ص» فيه فعلان على وزن «تَفَعَّلَ»؛ وهما: «لِيَدَّبَّرُوا»، «وَلِيَتَذَكَّرَ»، والبقاعي قد فرَّق بينهما؛ فجعل «لِيَتَذَكَّرَ» دالاً على التعظيم، ولم يجعل «لِيَدَّبَّرُوا» كذلك. ولا يخفى أن الشواغل التي تشغل الإنسان عن التدبر تشغله عن التذكر أيضاً؛ لِمَا أنَّ كلاً منهما يكمِّل الآخر، وإذا احتاج إلى أن يكون تذكُّرُهُ عظيماً جلياً فهو بحاجة كذلك إلى أن يكون تدبُّرُهُ عظيماً جليّاً كذلك.

* أن الإدغام هنا جاء لكي يحتمل رسم الكلمة القراءتين فيها؛ وهما «لِتَدَبَّرُوا» بتاء الخطاب وتخفيف الدال؛ وهي قراءة أبي جعفر، وقراءة «لِيَدَّبَّرُوا» بياء الغيبة وتشديد الدال، وهي لبقية القراء[(4)]. ولو أظهرت تاء التفعل لما احتملت القراءتين.

* أن الفعل «**يَتَدَبَّرُونَ**» بإظهار تاء التفعل قد ورد مرتين في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤]، وبمقتضى كلام البقاعيّ يُفهم أن التدبر هنالك لا يخفى منه شيءٌ؟! والعكسُ هو الصَّحيحُ؛ لأن موضع سورة «ص» في حق المؤمنين، بينما الموضعان الآخران جاءا في معرض النعي على من لا يتدبرون القرآن، فلو صحت نظرية البقاعي لكان العكس هو الأولى.

---

(١) نظم الدرر ٢٣١/١٥.

(٢) نظم الدرر ٣٧٦/١٦.

(٣) نظم الدرر ٤٦٨/١٦، ٢٤١/٢١.

(٤) ينظر: النشر ٣٦١/٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٤٧٧.

٣. قوله تعالى: ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [ص: ٣٩]، ذكر البقاعيُّ أن الفكَّ في الفعل «فامنن» يدل على عظمة المنِّ المذكور، وظهور أمره[1].

وعند التأمل فإن ما ذكره البقاعيُّ يناقش بعدة أمور، منها:

* أن الفك هنا جاء وفق الأفصح والأكثر استعمالاً كما تقدم آنفاً، والقرآن هو أفصح الكلام.

* الفعل «مُنَّ» لم يأت في القرآن الكريم مدغماً، والموازنة إنما تكون بين فعلين كلاهما ورد في القرآن الكريم.

* أن في الآية الكريمة ما يدل على المعنى المذكور بالنصِّ؛ وهو قوله تعالى: ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، والمنطوق يقدم على المفهوم، ولا داعي لأخذ الكلام من طريق غير مباشر إذا كان بالإمكان أخذه من طريق مباشر.

المبحث الثالث: بلوغ التمام والكمال

وهذا المعنى للإظهار ذكره البقاعيُّ في مواضع من تفسيره، منها:

١. قوله تعالى: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ [الأنفال: ٤٢]، ذكر البقاعيُّ أن الحياة المذكورة هي الحياة بالإسلام، وأن قراءة «حَيِيَ» بإظهار الياءين[٢] تشير إلى أنها حياةٌ في أعلى الكمال، وبعكس ذلك فإن قراءة «حَيَّ» بالإدغام تشير إلى أنها حياةٌ في أدنى الكمال[3].

ومما يناقش به كلام البقاعيّ هنا:

* أنه لو سُلِّم ما قاله فإن كونها في أعلى الكمال يغني عن ذكر كونها في أدنى الكمال؛ لأن ذكر الأعلى يستلزم بداهةً ذكر الأدنى، ويكون ذكره تحصيلَ حاصلٍ، ولا فائدة فيه. وهذا ما لا يتفق مع بلاغة التنزيل الجليل.

* الفك والإدغام في هذه الكلمة لغتان معروفتان، وأسلوبان فصيحان جائزان[4]. فجاءت كل قراءةٍ بواحدٍ منهما؛ ككثير من الأساليب الكلامية والبلاغية التي اشتملت عليها قراءات القرآن الكريم.

٢. قوله تعالى: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ**

(١) نظم الدرر ١٦/٣٨٧.

(٢) قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ بخلف عن قنبلٍ, وشعبةُ، وأبو جعفر، ويعقوب، وخَلَفٌ، بكسر الياء الأولى مع فك الإدغام, وفتح الثانية. وقرأ الباقون من العشرة بياءٍ مشددةٍ مفتوحةٍ. [ينظر: النشر ٢/٢٧٦. إتحاف فضلاء البشر ص: ٢٩٨].

(٣) نظم الدرر ٨/٢٨٨-٢٨٩.

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه ٤/٣٩٥.

﴿أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]، ذكر البقاعيُّ أن إظهار التاء في الفعل «يَتَطَهَّرُوا» يدل أن الرجال المذكورين في الآية يحبون أن يتطهروا بأكمل ما تكون الطهارة؛ في أبدانهم وفي قلوبهم(١).

وعند إنعام النظر فيما قال فإنه يرد على هذا أن بقية الآية جاء فيه ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ فجاء به مدغماً، ولو كانت نظرية البقاعيّ مُتَّجِهَةً لكان العكسُ أولى بالصوابِ؛ ضرورةَ أن الموضع الأول –وهو الذي جاء مظهراً– اقترن بمحبة العباد، ومحبة العباد مهما كانت فهي ناقصةٌ. وأما الثاني –وهو الذي جاء مدغماً– فقد اقترن بمحبة الله تعالى، ومحبة الله هي الكاملة، فكانت أحرى أن يقترن بها الإظهار لو كانت تلك النظرية صحيحةً.

٣. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٤]، ذكر البقاعيُّ أن إثبات التاءين في «مُتَتَابِعَيْنِ» يفيد كونهما على أكمل وجوه التتابع(2).

وهذا الكلام عليه أكثر من ملحظ، منها:

* أن الإدغام في هذه الحالة ضعيف، ولم يرد مثله في أي موضع في القرآن الكريم، والفصيح الراجح في مثل هذا هو الفك، والقرآن الكريم إنما جاء بالأفصح.

* أن ما ذكره من التتابع يغني عنه أصول وضع الكلمة؛ فهي تدل دلالة مباشرة على التتابع، فلا داعي لمثل هذا التمحل.

المبحث الرابع: المبالغة وبلوغ الغاية

وقد ذكر البقاعيُّ هذا المعنى للإظهار في مواضع، منها:

١. قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، ذكر البقاعيُّ أن إظهار التاء في هذا الموضع ليكون حالُ الناس المذكورين حالَ من يُرجى له غاية التذكر(3). وذكر نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١](4)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧](5).

وما ذكره البقاعيُّ يناقش ولا يسلم؛ ففي هذا التقدير تكلُّف لا يخفى؛ فقد ذكر في مواضع أخرى من مواضع الفعل «يتذكر» وتصريفاته أنه يدل على "غاية التذكر"، ولما كان هذا المعنى لا يستقيم هنا –لأن التذكر حينئذ سيكون لمن يتذكرون غاية التذكر وحدهم، ولن يكون لغيرهم– تصرف البقاعيّ

(١) نظم الدرر ١٩/٩.
(٢) نظم الدرر ٣٥٢/١٩.
(٣) نظم الدرر ٤١٣/١٠.
(٤) نظم الدرر ٣١٣/١٤.
(٥) نظم الدرر ٤٩٦/١٦.

في الكلام بحيث يكون المقصود ليكون حالهم حال من يرجى...إلخ.

٢. قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ذكر البقاعيُّ أن إظهار التاء في «والمتصدقين والمتصدقات» يدل على أن المذكورين ينفقون أموالهم في رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم، ويشير أيضاً إلى كون تلك النفقات تشمل الفرض والتطوع، وتشمل السر والعلانية(١).

يَرِدُ على ما قاله البقاعيّ هنا أن موضع الأحزاب هذا ليس فيه إلا قراءة واحدةٌ، فجاء بإظهار التاء على الأصل. وأما قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ [الحديد: ١٨] ففيه قراءتان: ﴿**الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ**﴾ بتخفيف الصاد فيهما؛ من التَّصْدِيقِ، و﴿**الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ**﴾ بتشديد الصاد فيهما؛ من التَّصَدُّقِ(2). فرسم موضع سورة الحديد بالإدغام لكي يحتمل القراءتين معاً، ولو رسم بإظهار تاء التفعل لفاتت القراءة الأخرى.

المبحث الخامس: وضوح الحدث

وهذا المعنى من معاني الإظهار ذكره البقاعيُّ في مواضعَ قليلةٍ، منها: قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ**﴾ [سبأ: ٩]، ذكر البقاعيُّ أن القراءة بإظهار الفاء عند الباء من «نخسف بهم» تشير إلى أن الله سبحانه قد يفعل ذلك الخسف على وجه الوضوح، وأن الأكثر في الخسف هو من هذا القبيل. وإدغام الفاء في الباء —كما هي قراءة الكسائيِّ(3)– يدلُّ على أنَّ الله سبحانه قد يفعل ذلك في أسرع من اللمح(٤).

ومما يناقش به كلام البقاعيّ في هذا الموضع:

- هذا الموضع لا يندرج تحت الإدغام الصرفيِّ؛ وإنما هو من باب الإدغام الصغير. وهذا الباب مما لا ينبغي ترتيبُ أيَّةِ معانٍ أو دلالات عليه؛ لأن الإدغام —سواء منه الصغير والكبير– ما هو إلا أسلوبٌ لفظيٌّ، يقوم على إدخال الحرف الأول في الحرف الثاني بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني.

- أن ترتيبَ معانٍ ودلالاتٍ على الإظهار أو الإدغام في الحروف المتقاربة والمتجانسة هو أكثر إشكالاً من ترتيبِ معانٍ ودلالاتٍ على الإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ؛ وإذا كان الثاني غيرَ مسلَّم

(١) نظم الدرر ٣٥٢/١٥.

(٢) قرأ ابنُ كثيرٍ، وشعبةُ بتخفيف الصاد فيهما، وقرا الباقون من العشرة بالتشديد فيهما. [ينظر: النشر ٣٨٤/٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٥٣٤].

(٣) قرأ الكسائيُّ وحده بإدغام الفاء في الباء، وأظهرها الباقون. [ينظر: النشر ١٢/٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٤٣].

(٤) نظم الدرر ٤٥٤/١٥.

وبحاجةٍ إلى برهان وإثبات فإن الأوَّل هو أحوج إلى ذلك.

- يظهر من خلال كلام البقاعيّ أن وجه الوضوح عنده مأخوذ من الإظهار، ووجه كونه أكثر مأخوذ من أن جمهور القراء قرؤوا هذا الموضع بالإظهار. وهذا ليس بشرطٍ، والبقاعي نفسه قد اتكأ في نظريته هذه في كثير من المواضع على قراءات غير الجمهور.

- لو سُلِّم أن للإدغام الصغير أو الكبير معانيَ ودلالاتٍ فقياس ذلك أن يكون لـ﴿**قَدْ ضَلَّ**﴾ في حالة الإظهار معنىً يختلف عن حالة الإدغام!! وهلمَّ جرّاً، وذلك مما لم يقل به أحد، حتى البقاعي نفسه؛ فإنه لم يتطرق إلى شيء من دلالات الإدغام إلا في ﴿**بيَّتَ طَائِفَةٌ**﴾، وفي ﴿**نَخْسِفْ بِهِمْ**﴾. ولا شك أن إغلاق هذا الباب كله هو الصواب؛ لأنه إذا فُتِحَ فلا يمكن إغلاقه.

- لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالات إظهار الحروف المتقاربة والمتجانسة أو إدغامها إلا في مواطنَ قليلةٍ جداً. وقلةُ استعراضه لأمثلةٍ من هذا النوع فيها إيماءٌ إلى عدم الاعتداد به.

المبحث السادس: تأكيد النهي

وبحسب ما وقف عليه الباحث فإن البقاعيّ لم يذكر هذا المعنى للإظهار إلا مرةً واحدةً؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾ [يوسف: ٥]، حيث ذكر أن الفكَّ في الفعل «تقصص» يفيد تأكيد النهي المذكور قبله[1].

وما ذكره البقاعيُّ هنا غير مسلَّم، ويمكن أن يناقش بالآتي:

- جاء الفك هنا متفقاً مع الأفصح والأكثر استعمالاً في العربية، وأما الإدغام فهو بخلاف ذلك، وإن جاز لغةً فإنه لم يأت في القرآن الكريم، والقرآن الكريم إنما جاء بأفصح اللغات.

- لم يوضح البقاعيُّ العلاقة بين فكِّ الإدغام وبين التأكيد، وإن يكن بينهما من علاقةٍ فهي خفيَّةٌ تحتاج إلى تجلية وتوضيح.

- وَرَدَ نحوُ هذا الفعل مفكوكاً في مواضع أخرى من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿**وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء: ١٦٤]، ولا يستقيم فيها أن يقال: إن الفك لتأكيد النفي، والبقاعيُّ نفسه لم يذكر هذا في ذلك الموضع.

الفصل الثالث: دلالات الإدغام عند البقاعيِّ

ذكر البقاعيُّ عدةَ دلالاتٍ للإدغام الصرفيِّ، وفي هذا الفصل استعراضٌ لتلك الدلالات، مع مناقشة ما ذهب إليه:

(١) نظم الدرر ١٧/١٠.

المبحث الأول: الْخَفاء وعدم الظهور

وهذه الدلالة من أكثر الدلالات التي ذكرها البقاعيّ للإدغام، ومن الأمثلة عليها:

١. قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [البقرة: ٧٢]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «فَادَّارَأْتُمْ» يشير إلى إخفائهم القتل[(١)].

وهذا الذي ذكره البقاعيُّ غير مسلَّم؛ لما يأتي:

- أن الفعل «تَدَارَأَ» بإظهار التاء لم يرد في القرآن الكريم، والأصل أن تكون المقارنة بين فعلين كلاهما واردٌ في القرآن الكريم.
- من الجليِّ جداً ها هنا أن إخفاءهم القتل يستفاد بشكل مباشر من خلال تتمة الآية الكريم؛ وذلك قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾، وإذا كان الكلام مدلولاً عليه بالمنطوق فلا داعي لأخذه من المفهوم.

٢. قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ**﴾ [النساء: ٨١]، يرى البقاعيّ أن الإدغام في «بيَّت طائفة» كما هي قراءة أبي عمرو وحمزة[(٢)] يتناسب مع حال المنافقين الذين كانوا يخفون أقوالهم[(٣)].

وهذا الموضع يناقش بمثل ما نوقش به ﴿**نَخْسِفْ بِهِمُ**﴾ في المبحث الخامس من الفصل السابق، غيرَ أن الإدغام هنا كبيرٌ، وهنالك صغيرٌ.

٣. قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [التوبة: ٧٥]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «**لَنَصَّدَّقَنَّ**» يشير إلى كون صدقتهم المحلوف عليها من غير رياء[(٤)].

ولا يخلو هذا الموضع عن مناقشة، ومما يرد عليه:

- أن أفضلية صدقة السر على صدقة العلانية ليس على إطلاقه؛ فقد مدح الله تعالى المنفقين سراً وعلانيةً؛ كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٤]. والتفصيل عند جُلِّ العلماء أن

(١) نظم الدرر ٤٧٥/١.

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الطاء، وقرأ الباقون من العشرة بفتح التاء مع الإظهار. [ينظر: النشر ٣٠٣/١. إتحاف فضلاء البشر ص: ٢٤٤].

(٣) نظم الدرر ٣٣٨/٥.

(٤) نظم الدرر ٥٥٣/٨.

الإخفاء إنما هو أفضل في صدقة النفل، وأن الإعلان أفضل في صدقة الفريضة[1].

- الملاحظ هنا أن الإخفاء مرتبط بلازمٍ من لوازم الفعل لا بالفعل نفسه؛ إذ لو تعلق بنفسه لكان المعنى: لنتصدقن بصدقةٍ قليلةٍ!! وهو لا يتناسب مع نظرية البقاعيّ، ولعلَّ هذا ما دعاه إلى العدول عن الفعل إلى لوازمه.

- مما يضعف تأويل البقاعيّ أن قوله تعالى: ﴿**وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا**﴾ [النساء: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿**فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [المنافقون: ١٠]؛ قد جاء الفعل نفسُه فيهما مدغماً، والبقاعي نفسُه لم يذكر فيهما مثل ما ذكر في موضع التوبة؛ لأنه غير متناسب مع السياق في هذين الموضعين.

٤. قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ**﴾ [التوبة: ٧٩]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «المطوعين» يشير إلى أن المؤمنين يحبون إخفاء صدقاتهم[2].

ومما يناقش به هذا الموضع:

- أنه لم يرد «المتطوعين» في القرآن الكريم، والأصل أن تكون الموازنة بين كلمتين كلتاهما واردةٌ في القرآن الكريم، كما تقدم مراراً.

- يقال هنا ما قيل في النقطة السابقة من مسألة إظهار النفقة وإخفائها، وكون ذلك مختلفاً بين صدقة التطوع وصدقة الفريضة.

- لو كان الكلام سديداً فكيف علم المنافقون بالصدقة الخفيَّة للمؤمنين ولمزوهم بذلك!؟

٥. قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ**﴾ [يونس: ٢٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «ازينت» يشير إلى أن زينة الأرض من النبات وغيره منها الجليُّ ومنها الخفيُّ[3].

وعند التأمل فإن ما ذكره البقاعيُّ يناقش بأمورٍ، منها:

- أنه لم يرد في القرآن الكريم «تزَيَّنَ» بإظهار تاء التفعل.
- ليس في الآية ولا في تراكيبها ما يشير إلى قسمي الزينة المذكورين، اللهم إلا أن يكون قصد البقاعيّ أن الزينة الجلية يرشد إليها وزن «تَفَعَّلَ»، والزينة الخفية يرشد إليها الإدغام. وإن كان ذلك كذلك فهو غير مسلَّم؛ فإن المتبادر من سياق الآية كثرة الزينة وظهورها، وكونها خفية مما يضعف معناها.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣١٦/١. غرائب القرآن للنيسابوري ٥١/٢. فتح الباري لابن حجر ٢٨٩/٣. التفسير المنير للزحيلي ٦٦/٣.
(٢) نظم الدرر ٥٥٥/٨.
(٣) نظم الدرر ١٠٢/٩.

٦. قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ [الحج: ٢٩]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في الفعل «وَلْيَطَّوَّفُوا» يدل على الإخلاص في الطواف بإخفائه بحسب الطاقة[1].

وما ذكره البقاعيُّ لا يخلو عن مناقشة:

- لم يرد «تَطَوَّفَ» بإظهار التاء في القرآن الكريم، والأصل أن تكون الموازنة بين كلمتين كلتاهما واردة في القرآن الكريم.
- مسألة إخفاء الطواف فيها نظرٌ، فالطواف نسكٌ يُؤدَّى في مكانٍ عامٍّ ظاهرٍ ومن غير الممكن إخفاؤه.

٧. قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾ [الروم: ٤٣]، ذكر البقاعيُّ أن معنى «يصدعون» يتفرقون، وأن الإدغام فيه يشير إلى أن تلك الفُرقة قد تخفى على بعضهم[2].

وفيما ذكره البقاعيُّ تكلفٌ لا يخفى، ومما يَرِدُ عليه:

- أن المعنى الذي أشار إليه غامضٌ وغير ظاهر، ولعل هذا ما حدا بالبقاعي أن يقرن كلامه بـ«لعل» التي تفيد عدم الجزم.
- كون الفرقة التي تتفرقها الخلائق في ذلك اليوم تخفى على بعض الناس أمر غير ذي جدوى، ولا تلاحظ فيه فائدةٌ؛ إذ المقصودُ في الآيةِ الكريمةِ بيانُ الأهوالِ والشَّدائد التي تَحْصُلُ في ذلك اليوم، وما ذكره البقاعيُّ يتنافى مع ذلك.
- يلاحظ هنا أن المعنى الذي رتبه البقاعيّ على الإدغام متعلق بلوازم الفعل لا بذاته.

٨. قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ [الشورى: ١٦]، أورد البقاعيّ احتمالاً بأن يكون المحاجُّون المذكورون في الآية من أهل النفاق الذين يلقون شبهاتهم في الخفاء[3].

ولا يَسْلَمُ ما قاله البقاعيُّ هنا من مناقشة، ومما يَرِدُ عليه:

- أنه لم يُقرأ في هذا الموضع، بل في جميع ما ماثله من أسماء الفاعلين بفك الإدغام؛ بل الاتفاق حاصل بين القراء جميعاً على الفك فيما هو من هذا القبيل. وبالإضافة إلى ذلك فإن فك الإدغام

(١) نظم الدرر ١٣/٤٠-٤١.
(٢) نظم الدرر ١٥/١٠٩.
(٣) نظم الدرر ١٧/٢٧٧.

في مثل هذا المقام غير فصيح، والقرآن إنما جاء بأفصح اللغات.

- من الملاحظ أن البقاعيّ نفسه لم يجزم بهذا القول؛ إذ صدَّر كلامه بكلمة «لعل»، ومن الملاحظ أن البقاعيّ قد فعل هذا الأمر في بعض المواضع التي ضمنها الكلام عن دلالات الفك والإدغام.

المبحث الثاني: الخداع والاحتيال

ذكر البقاعيُّ هذا المعنى للإدغام في مواضع من تفسيره، منها:

١. قوله تعالى: ﴿**لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ**﴾ [الصافات: ٨]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «يَسَّمَّعُونَ» يدل على أمرين: الأول: أن تسمع الشياطين هو بنوع من الحيلة، ويفهم منه أنهم يتسمعون، ولكن لا ينتهي تسمعهم إلى الملأ الأعلى. والثاني: أنهم يجتهدون في إخفاء أمرهم[1].

وهذا الكلام في تفسير هذه الآية لا يخلو عن مناقشة ونقد، ومما يناقش به:

- أن البقاعيَّ اعتمد هنا على إحدى القراءتين في اللفظ دون الأخرى؛ ففي قوله تعالى: ﴿**يَسَّمَّعُونَ**﴾ قراءتان: الأولى: بتشديد السين والميم؛ من الفعل «تَسَمَّعَ»، والثانية: بتخفيفهما؛ من الفعل المجرد «سَمِعَ»[2]. ولا شك أن المعنيين اللذين ذكرهما البقاعي لا يتفقان إلا مع القراءة الأولى. ولا شك أن القراءات يتمم بعضها معاني بعض، وليس بينها تنافرٌ ولا اختلافٌ.

- يلاحظ هنا أن المعنى الأول متعلق بذات الفعل، بينما الفعل الثاني متعلق بلوازم الفعل، كما سبق تقريره.

٢. قوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ**﴾ [الصافات: ٢٥]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام مع المدِّ في «**لآ تَنَاصَرُونَ**» في قراءة أبي جعفر والبزي بخلفٍ عنه[3] يشير إلى أن تناصر المشركين لا يحدث إلا بعد تمكُّثٍ وإعمالِ حيلةٍ[4].

وما قاله البقاعيّ يوجد عليه أكثر من ملحظ، ومنها:

- أن هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات في نفي التناصر بين المشركين يوم القيامة، سواءٌ أكان بحيلةٍ أو بغيرها. والمعنى الذي ذكره البقاعيُّ يثبت وجود التناصر، وهذا لا يَتَّفِقُ مع معنى الآية وسياقها.

---

(١) نظم الدرر ١٩٦/١٦-١٩٧.

(٢) ينظر: النشر ٣٥٦/٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٤٧١.

(٣) قرأ البزي بخلفه وأبو جعفر بتشديد التاء وصلًا مع إشباع إشباع المد للساكنين، وقرأ الباقون من العشرة بتخفيف التاء مع المد الطبيعي. [ينظر: النشر ٢٣٤/٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٤٧٢].

(٤) نظم الدرر ٢١٠/١٦.

- بمقتضى كلام البقاعيّ فإن المشركين يتناصرون بشكل فوريٍّ وجهريٍّ وفق قراءة جمهور القراء بعدم المد وتشديد التاء!! وهو معنىً ينقض المعنى الآخر. ومن المسلَّمات أن قراءات القرآن الكريم يكمِّلُ بعضها بعضاً ولا ينقض بعضها بعضاً.

- أن أبا جعفر والبزي بخلفٍ عنه إذا ابتدآ بهذه الكلمة فإنهما يخففان التاء، وهذا سيؤدي إلى كون التناصر بحيلةٍ في حال الوصل، وبغير حيلةٍ حال البدء. وهذا تعسُّفٌ ينبغي تنزيه القرآن الكريم عن مثله.

- أن البزي بخلف عنه قد شدَّد التاء وصلاً في واحدٍ وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم[1]، والبقاعي لم يذكر مثل هذا المعنى إلا في هذا الموضع، وموضع العلق الآتي بعد قليل. ونظرية البقاعيّ هذه لا تتطابق مع جلِّ تلك المواضع، ولا يمكن حملها عليها؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ**﴾ [الحجرات: ١١]، فهذا الموضع يقرؤه البزيُّ بتشديد التاء وصلاً، ويلزم من ذلك وجود إدغام لازم يمدُّ مدّاً مشبعاً، ومن غير المستساغ أن يكون النهي هنا عن التنابز الذي يكون بحيلة، ويفهم من ضده كون التنابز الذي ليس بحيلة جائزاً. واستعراض بقية الأمثلة يطول.

٣. قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾ [الزمر: ٦٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام مع المد في «تَأْمُرُونِّي» -وهو قراءة عامة القراء- ربما يشير إلى أن محاولات المشركين مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل عبادة آلهتهم كانت على سبيل المكر والخداع[2].

وما ذكره البقاعيُّ هنا لا يسلم، ويناقش بالآتي:

- اكتفى البقاعيّ بالإشارة إلى قراءة واحدة من ثلاث قراءات في «تَأْمُرُونِّي»؛ فقد قرئت بنونٍ واحدةٍ مخففةٍ. وقرئت بنونين. وفي هاتين القراءتين يكون المد طبيعياً لا لازماً. وقرئت بنون واحدةٍ مشددةٍ مع المد اللازم[3]. ومن نافلة القول أن المعنى الذي ذكره البقاعيُّ إنما يأتي على القراءة الثالثة، ولا يأتي على القراءتين الأوليين.

- ظهر من خلال أمثلةٍ أخرى مرَّت في أثناء هذا البحث أن البقاعيّ في بعض الأحيان كان يذكر معانيَ مختلفةً للآية بحسب القراءات التي قرئت بها، ولكنه هنا اكتفى بذكر معنىً واحدٍ على قراءة واحدة وأَضْرَبَ عن ذكر المعنى على القراءتين الأخريين. والسبب في هذا -والله أعلم- أن نظريته لا تتوافق مع تِيْنِكَ القراءتين؛ إذ يكون المعنى على قراءة «تأمرونني» أن محاولاتهم كانت جهريةً علنيةً!!

---

(١) ينظر: النشر ٢/٢٣٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٢١٠.

(٢) نظم الدرر ١٦/٥٤٥-٥٤٦.

(٣) قرأ نافعٌ، وأبو جعفر، وابن ذكوانٍ في أحد الوجهين عنه، بنون خفيفة على حذف إحدى النونين، وقرأ هشام وابن ذكوان في وجهه الآخر بنونين خفيفتين: مفتوحة فمكسورة على الأصل. وقرأ الباقون من العشرة بنون مشددة. [ينظر: النشر ٢/٣٦٣. إتحاف فضلاء البشر ص: ٤٨٢-٤٨٣].

- المعنى الذي ذكره البقاعيُّ لا يتفق مع معنى الأمر؛ إذ الأمر لا يكون في حيلةٍ وخفاءٍ؛ بل يكون بشكل جليٍّ ظاهرٍ.

- صدَّر البقاعيُّ كلامه بـ«لعل»، وفي هذا إشارة إلى أن البقاعيّ نفسه غير جازم بهذا الوجه.

٤. قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ [التحريم: ٤]، ذكر البقاعيُّ أن التشديد مع الإدغام في «تَظَّاهَرَا» وهي قراءة عامة القراء[1] يشير إلى أن ما صدر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تجاهه كان على وجه الخفاء في إعمال الحيلة في أمر مارية رضي الله عنها والعسل. وأما القراءة بالتخفيف بإسقاط إحدى التاءين ففيها إشارةٌ إلى سهولةِ أمرِ هذه المظاهرة، وقلة أذاها له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وقول البقاعي هنا غير مسلَّم لما يأتي:

- يبدو التحكم جلياً في شِقَّيْ كلام البقاعيّ؛ إذ لو سُلِّم أن ما صدر من أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ كان على وجه الخفاء وإعمال الحيلة فسوف يكون كذلك على القراءتين معاً؛ لأن اعتباره خفياً وحيلةً على قراءة دون الأخرى تحكُّمٌ لا دليل عليه. وكذا يقال في الشق الآخر.

- قوله بأن إسقاط إحدى التاءين فيه إشارة إلى سهولة أمر هذه المظاهرة، غامضٌ مبهمٌ؛ فإن كانت السهولة مضافةً إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فهي موجودةٌ على كلتا القراءتين، ولا معنى لوجودها على قراءة دون الأخرى. وإن كانت السهولة مضافةً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالأمر أوضح وأجلى؛ لأن تلك المظاهرة ستكون سهلةً عليه صلى الله عليه وسلم، ولن تؤثِّر فيه، سواءٌ شددت الظاء أو خففت.

- نظير القراءات في هذه الآية قوله تعالى: ﴿**تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [البقرة: ٨٥]؛ فقد قرئت «تَظَاهَرُونَ» بتشديد الظاء وبتخفيفها[3]، كما في آية التحريم تماماً، ولم يذكر البقاعيُّ في موضع البقرة ما ذكره هنا.

٥. قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «شَاقُّوا» و«يُشَاقِّ» هنا في موضع الحشر لأن القصة في اليهود، وأمرهم كان ضعيفاً، وكانت مشاقتهم في الباطن، ولم يظهروا معاداتهم؛ وإنما كان ما فعلوا مكراً ومساترةً.

---

(١) قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وَخَلَفٌ، بتخفيف الظاء؛ على حذف إحدى التاءين, وقرأ الباقون من العشرة بتشديدها؛ بإدغام التاء في الظاء. [ينظر: النشر ٣٨٨/٢. إتحاف فضلاء البشر ص: ٥٤٨].

(٢) نظم الدرر ١٨٩/٢٠.

(٣) الخلاف فيها كما في ﴿تَظَاهَرَا﴾ المتقدم آنفاً.

وأما قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ١٣] فجاء فيه «يُشَاقِقِ» غير مدغم لأن القصة في العرب، وأمرهم في عداوتهم كان بعد الهجرة شديداً ومجاهرة، بينما أدغم في «شَاقُّوا» لأن ما مضى قبل الهجرة كان ما بين المساترة والمجاهرة(١).

وبإنعام النظر فيما قاله البقاعيّ فإنه يناقش بالآتي:

- التحكم هنا ظاهر في كلام البقاعيّ في جانبين:

الأول: كون عداوة المشركين جهرية وعداوة اليهود سرية، والصحيح أن اليهود لا يقلون عن المشركين عِداءً للمسلمين، إن لم يكونوا أكثر منهم في ذلك؛ بدلالة تقديمهم في الذكر في قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ [المائدة: ٨٢]. ويدل على ذلك أيضاً أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم عقب انتصار المسلمين في بدر: «يا محمد، لا يغرنك من لقيت، إنك قهرت قوما أغماراً، وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا...»(٢).

والثاني: زعمه أن عداوة المشركين للمسلمين قبل الهجرة كانت ما بين المساترة والمجاهرة. ولا يخفى أن عكس ذلك هو الصواب. بل إن كلامه في هذه النقطة وحدها متدافع؛ إذ جعل عداوة المشركين للمسلمين قبل الهجرة بين المساترة والمجاهرة، وعليه فالحال ليس مجاهرةً بحتةً، كما لا يخفى.

المبحث الثالث: كون الشيء في أدنى المراتب

وقد تحدث البقاعيّ عن هذه الدلالة في كثيرٍ من المواضع، ومن الأمثلة عليه:

١. قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «يَضَّرَّعُونَ» يشير إلى أن التضرع المطلوب في الآية يكفي أن يكون في أدنى المراتب، وعلل ذلك بأن هذا القدر كافٍ في الإنقاذ من عذاب الإنذار، الذي هو الموضوع العام لسورة الأعراف(٣).

وكلام البقاعيِّ هذا عليه أكثر من مأخذ، ويناقش بالآتي:

- موضع الأعراف هو الوحيد في القرآن الكريم الذي جاء فيه لفظ «يَضَّرَّعُونَ» مدغماً. بينما جاء لفظ «يتَضَرَّعُونَ» بالإظهار في موضعين: قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٧٦].

(١) نظم الدرر ٢٣٨/٨ -٢٣٩، ٤١٤/١٩.
(٢) مغازي الواقدي ١٧٦/١.
(٣) نظم الدرر ١٠/٨-١١.

وموضع سورة الأنعام قد ذكر البقاعيُّ أن إظهار تاء التفعل فيه يشير إلى أن الخضوع والتذلل لله تعالى يجب أن يكون على وجه بليغ، ومما يؤكد ذلك أن مقصودَ هذه الآية الاستدلالُ على التوحيد، وذلك يستدعي الإبلاغ في العبادة[1]. وأما موضع سورة المؤمنون فلم يتطرق إليه البقاعيّ بشيءٍ[2]. وقياس نظرية البقاعيّ أن يقال في هذا الموضع ما قيل في موضع الأنعام؛ بجامع إظهار التاء في كلٍّ منهما. وعند التدقيق يظهر أن عكس ما ذهب إليه البقاعيّ هو الأقْرب إلى الصواب؛ إذ موضع المؤمنون فيه التدلِّي من الأعلى إلى الأدنى، بقرينة كون المقام منفياً، ولعل هذا ما حدا بالبقاعيِّ أن لا يطبق نظريته في هذا الموضع.

- صيغة التفعل تأبى المعنى الذي ذكره البقاعيُّ لموضع الأعراف؛ إذ التفعل فيه الكلفة والجهد، وهذا لا يتفق مع كون التضرُّع في أدنى المراتب.

٢. قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٦]، ذكر البقاعيُّ أن معنى «يَذَّكَّرُونَ»: يجهدون أنفسهم في التخلص من شوائب العوائق للعقل من الهوى وغيره، وأن الإدغام في هذا الفعل يشير إلى أنهم يفعلون ذلك ولو على أدنى وجوه الاجتهاد[3]. وذكر نحو هذا القول في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٥٧].

وما ذكره البقاعيُّ لا يخلو عن مناقشةٍ:

- هذا الكلام لا يتفق مع ما يفيده وزن «تَفَعَّلَ»؛ وهو التكلف والمشقة. والالتفات إلى معنى الصيغة أهم بكثير من الالتفات إلى ما ذكره البقاعيُّ؛ لأن معنى الصيغة أمرٌ شائعٌ ذائعٌ، نصَّ عليه العلماء، في حين أن ما ذكره البقاعيُّ ما هو إلا نظريَّة تحتاج إلى إثباتٍ.

- ذكر البقاعيُّ هذا المعنى للفعل «**يَذَّكَّرُونَ**» في بعض مواضعه كما مرَّ، ولم يذكره في مواضع أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأنفال: ٥٧]، ولا يخفى أن المقام هنا لا يساعد في كون التذكر المطلوب في أدنى المراتب؛ بل العكس هو الصواب، وكلام البقاعيّ نفسه في تفسير هذه الآية شاهد بذلك[4]؛ فإن المطلوب في هذا المقام تَذَكُّرٌ عظيمٌ يردع ناقضي العهود، فلا ينقضوا عهداً بعده أبداً.

٣. قوله تعالى: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٨]، ذكر

(١) نظم الدرر ١١٤/٧.
(٢) نظم الدرر ١٧١/١٣.
(٣) نظم الدرر ٢٦٥/٧.
(٤) ينظر: نظم الدرر ٣١١/٨.

البقاعيُّ أن مما يشير إليه الإدغام في «الْمُطَّهِّرِينَ» الندب إلى الطهارة ولو على أدنى الوجوه المجزئة[1].

ومما يناقش به كلام البقاعيّ في هذا الموضع:

- أن هذه الكلمة جاءت عقب قوله «يَتَطَهَّرُوا»، وهذا ما يرجح كونهما بمعنىً واحدٍ.
- لو سلم أن بين الكلمتين فرقاً من حيث كمال الطهارة أو عدم كمالها لكان العكس أولى بالصواب مما ذكره البقاعيُّ، كما تقدم الكلام عليه في الفصل الثاني من البحث[2].

٤. قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا**﴾ [المجادلة: ٣].

ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في الفعل: «يَتَمَاسَّا» يدل على حرمة الجماع قبل التكفير ولو كان على أدنى وجوه التماس وأخفاها؛ كإيلاج الحشفة فقط[3].

ويرد على ما قاله البقاعيّ ما يأتي:

- استعمال «يتماسَسَا» لم يرد في القرآن الكريم، وهو في اللغة غيرُ جائزٍ أو ضعيفٌ، والقرآن إنما نزل بأفصح اللغات، فلا داعي لافتراض وجود أمورٍ لا يصح افتراض مثلها في القرآن الكريم.
- ما ذكره البقاعيُّ يستفاد ببداهة العقل والمنطق، وبدون وجود الإدغام؛ وذلك أنَّ الفعلَ يَصْدُقُ وُجُودُهُ بأدنى مراتبه؛ كالأكل مثلاً؛ فمن أَكَلَ لقمةً واحدةً يَصْدُقُ عليه أنه آكل. مع أن لفظ الأكل ليس فيه إدغام ولا إظهار.

٥. قوله تعالى: ﴿**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى**﴾ [الليل: ١٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «نَارًا تَلَظَّى» على قراءة رويس والبزيِّ بخلف عنه[4] يشير إلى أن أدنى نار الآخرة تتقد وتتلهب تلهباً هو في غاية الشدة، فيكون ما فوقها أشدَّ اتِّقاداً وتلهباً من باب الأولى[5].

وبتدقيقِ النَّظَرِ في هذا الموضعِ فإنه لا يُسَلَّمُ؛ لما يأتي:

- يقال هنا ما قيل في ﴿**لَا تَنَاصَرُونَ**﴾ المتقدم آنفاً، ويضاف هنا الآتي:

---

(١) نظم الدرر ٩/٢٠.
(٢) ينظر: ص ١٠ من البحث.
(٣) نظم الدرر ١٩/٣٥٠.
(٤) ينظر: النشر ٢/٢٣٤. إتحاف فضلاء البشر ص: ٥٨٧.
(٥) نظم الدرر ٢٢/٩٣-٩٤.

- في ﴿**لَآ تَنَاصَرُونَ**﴾ جعل البقاعيّ حذف إحدى التاءين –وهي قراءة العامة– دالاً على كون التناصر في أدنى درجاته، بينما جعله هنا دالاً على عدم الكلفة. وجعل الإدغام هنالك دالاً على التمكث والحيلة، بينما جعله هنا دالاً على كون الشيء في أدنى درجاته. ولا يخفى عدم انضباط المنهجية حتى في الباب الواحد؛ فما دلَّ عليه حذف إحدى التاءين هنالك دلَّ عليه هنا الإدغام!!

المبحث الرابع: عدم بلوغ الغاية

وهذا المعنى للإدغام أورده البقاعيّ على قِلَّةٍ في تفسيره، ومن الأمثلة عليه:

١. قوله تعالى: ﴿**يا أيها المزمل**﴾ ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «المزمل» يشير إلى أن الثوب يخفي صاحبه، وربما أشار الإدغام أيضاً إلى أن الستر بالثوب لم يعم جميع البدن[1].

وبإنعام النظر في هذا الموضع فإنه لا يخلو عن مناقشة، ومما يناقش به:

- أن المعنى الأول الذي ذكره البقاعيُّ يدل عليه أصل وضع التزمل، وهو التلفف بالثياب[2]، ومن نافلة القول أن الثوب يخفي صاحبه. فما ذكره البقاعيُّ تحصيلُ حاصلٍ.
- أن المعنى الثاني صدَّره البقاعيّ بكلمة «ربما»، وبهذا فإن البقاعي نفسه غير جازم بهذا الوجه، وهو كذلك؛ فإن المعنى المذكور لا يوجد عليه أيُّ دليلٍ.

٢. قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ [المدثر: ١]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «الْمُدَّثِّر» فيه إشارة إلى أن الدثار لم يعمَّ بدن النبي صلى الله عليه وسلم، فيكفي في ذلك ستر الرأس وما قاربه من البدن، وذلك بعكس الإظهار الذي يدل على المبالغة[3].

ومما يناقش به كلام البقاعيّ هنا:

- أن ما ذكره عن هذه الآية يناقض ما صدَّر به تفسير الآية نفسها؛ فقد استهل تفسير الآية بان معنى المدثر المشتمل بثوبه. وهو يتناقض بشكل كليٍّ مع قوله: "فيكفي في ذلك ستر الرأس وما قاربه من البدن". فالاشتمال مأخوذ من الشمول، ومعناه الإحاطة[4].
- لم ترد كلمة «المدثر» في غير هذا الموضع في القرآن الكريم، وتقدم مراراً أنَّ الموازنة ينبغي أن تكون بين كلمتين كلتاهما واردة في القرآن الكريم.

---

(١) نظم الدرر ٢١/٢-٣.
(٢) العين ٣٧١/٧. لسان العرب ٣١١/١١. تاج العروس ١٣٨/٢٩.
(٣) نظم الدرر ٤٠/٢١.
(٤) ينظر: مادة (شمل): العين ٢٦٦/٦. أساس البلاغة ٥٢٢/١.

- بنى البقاعيّ كلامه على أساس أن الإظهار يدل على المبالغة، فيكون الإدغام بعكسه. ولا يخفى أن ما أسَّس عليه البقاعيّ هو أحد شطري النظرية، وهي غيرُ ثابتةٍ، ولا تصلح للبناء عليها.

المبحث الخامس: النُّدْرَةُ والْقِلَّةُ

وقد ذكر البقاعيُّ هذا المعنى للإدغام في مواضع قليلةٍ من تفسيره، منها: قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ**﴾ [البقرة: ٧٤]، ذكر البقاعيُّ أن الإدغام في «يشقق» يشير إلى أنه يسيرٌ، ويحدث بتكلُّفٍ[1].

ومما يناقش به الكلام في هذا الموضع:

- أن الفعل «تَشَقَّقَ» وتصريفاته جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: الموضع المتقدم، وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ**﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا**﴾ [ق: ٤٤]. وقد اضطربت أقوال البقاعيّ في الغرض من الإدغام في المواضع الثلاثة التي ورد فيها الفعل «تَشَقَّقَ»؛ ففي سورة البقرة ذكر أنه يدل على القلة والتكلف، في حين ذكر في موضع سورة الفرقان أنه يدل في قراءة من شدد الشين على كون التشقق عظيماً، وأنه يدل على خفائه على بعض الناس في قراءة من خفف الشين[2]. ولم يذكر في سورة «ق» أية دلالة على تشديد الشين؛ بل ذكر أن المعنى على تخفيفها يشير إلى سهولة الفعل وسرعته[3]. والاضطراب في هذه المواضع الثلاثة يدل فيما يدل عليه أن هذه النظرية غيرُ واضحةِ المعالم، وأنها تتكيف بحسب المراد منها في السياقات المختلفة.

- بمقارنة هذا الجزء من الآية بما قبله؛ وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ**﴾ فإن تاء التفعل قد أثبتت ها هنا، والتفجر معناه خرج الماء باندفاع وقوة[4]، ولا ريب أن عطف التشقق عليه بالمعنى الذي ذكره البقاعي مما لا يناسب السياق أبداً؛ لما أن الترقي دائماً يكون من الأدنى إلى الأعلى، وكون التشقق يسيراً مما لا يتفق مع هذا.

الفصل الرابع: مواضع لم يتعرض لها البقاعيّ

من أهم ما تُناقَشُ به نظرية البقاعيّ بوجود دلالات معنوية للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ أن البقاعيّ نفسه أغفل تطبيق هذه النظرية في مواضع كثيرةٍ جداً من القرآن الكريم. وقد مرَّ في ثنايا المناقشات ذكر طَرَفٍ من تلك المواضع.

وبحسب ما ظهر للباحث فإن عدد المواضع التي لم يطبق البقاعيّ فيها نظريته يوازي أو يزيد عن عدد المواضع التي طبقها فيها. وفي هذا دلالة على قصور هذه النظرية وعدم تسليمها، وبخاصةٍ أن تطبيق

(١) نظم الدرر ٤٨٢/١.
(٢) نظم الدرر ٣٧٢/١٣.
(٣) نظم الدرر ٤٤٢/١٨.
(٤) ينظر: مادة (فجر): جمهرة اللغة ٤٦٣/١. المفردات في غريب القرآن ص: ٦٢٥.

هذه النظرية على بعض المواضع غير ممكن، ولا يتفق مع معنى الآية وسباقها وسياقها. واستعراض تلك المواضع مما لا يتسع له البحث، وفيما يأتي طائفةٌ منها على سبيل التمثيل:

١. قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾ [آل عمران: ٤٧]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة الإظهار في «يَمْسَسْنِي»[(1)]. وبحسب نظريته فإنه يمكن حمل الإظهار على معنى الوضوح والظهور؛ أي: مسّاً ظاهراً، ويمكن حمله على معنى المبالغة؛ أي: مسّاً كثيراً. وغير خافٍ على من عنده أدنى مسكةٍ من عقلٍ أن المعنيين المذكورين لا يتفقان مع الآية؛ فمريم عليها السلام تنفي حصول المس من أصله، قليلاً كان أو كثيراً، وظاهراً كان أو خفيّاً.

٢. قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**﴾ [النساء: ٢]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة إظهار التاءين في «تَتَبَدَّلُوا»[(2)]. وبحسب نظريته فإنه يمكن حمل الإظهار على معنى الوضوح والظهور؛ أي: تبدُّلاً ظاهراً بيِّناً. وهو مما لا يلائم السياق أبداً؛ فإن أهل الجاهلية كانوا يأكلون أموال اليتامى في خفاءٍ وحيلةٍ، وذلك مما جعله البقاعيّ معنىً للإدغام لا للإظهار.

٣. قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ**﴾ [النحل: ٢٧]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة الإدغام في «تُشَاقُّونَ»[(3)]. وبحسب نظريته فإن هذا الإدغام يمكن أن يحمل على معنى الخفاء؛ أي: مشاقَّةً خفيةً. ويمكن أن يحمل أيضاً على معنى القلة؛ أي: مشاقَّة قليلة. ويمكن أن يحمل على الحيلة والمكر؛ أي: مشاقة في مكر واحتيال. ولا يخفى أن تلك المعاني غير مناسبة، ولا تتفق مع معنى الآية وسياقها.

٤. قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ [القصص: ٨٥]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة الإدغام في «لَرَادُّكَ»[(4)]. وبحسب نظرية البقاعيّ فإن الإدغام هنا يمكن أن يحمل على الخفاء؛ أي: ردّاً خفيّاً. وهذا مما يتفق مع معنى الآية؛ فهي تتحدث عن عودة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً مظفراً منتصراً. وقد كان علناً ولم يكن في خفاء.

٥. قوله تعالى: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾ [ص: ٢٢]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة الإظهار في «تُشْطِطْ»[(5)]، وبحسب نظريته فإنه يمكن حمل الإظهار على معنى الظهور والوضوح، فيكون المعنى: ولا تشطط شططاً ظاهراً. وهو معنى فاسدٌ؛ إذ يفهم من

(١) ينظر: نظم الدرر ٤/٤٠٠.
(٢) ينظر: نظم الدرر ٥/١٧٧.
(٣) ينظر: نظم الدرر ١١/١٤٢.
(٤) ينظر: نظم الدرر ١٤/٣٨٧.
(٥) ينظر: نظم الدرر ١٦/٣٥٧.

ذلك جواز وقوع الشطط القليل!! وهذا مما يأباه معنى الآية وسياقها.

٦. قوله تعالى: ﴿**فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ**﴾ [غافر: ٤]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة الإظهار في «يَغْرُرْكَ»[1]. وبحسب نظريته فإنه يمكن حمل الإظهار على معنى الوضوح والظهور؛ أي: غرراً ظاهراً، ويمكن حمله على معنى المبالغة؛ أي: غرراً عظيماً. وهو مما لا يتناسب مع الآية قطعاً؛ إذ يفهم منه أن حصول الغرر الخفيّ، أو الغرر القليل، جائزٌ، ولا يشمله النهي!!

٧. قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ**﴾ [غافر: ٤٧]، لم يتعرض البقاعيّ إلى دلالة الإدغام في «يَتَحَاجُّونَ»[2]. وبحسب نظريته يمكن أن يحمل الإدغام على الخفاء؛ أي: محاجة خفية. ويمكن أن يحمل على المكر؛ أي: محاجة فيها مكر ودهاء. وكلا المعنيين لا يتفق مع معنى الآية وسياقها.

وأكتفي بهذه الأمثلة، التي غرضها إثبات أن نظرية البقاعي بوجود دلالات معنوية للإظهار والإدغام الصَّرْفِيَّيْنِ، فيها ثغراتٌ غير قليلةٍ، وأنها لا تتفق مع جميع المواضع التي فيها إظهارٌ أو إدغام. وهذا وحده كافٍ في تضعيف هذه النظرية، وعدم التسليم بها.

(١) ينظر: نظم الدرر ٨/١٧.
(٢) ينظر: نظم الدرر ٨٢/١٧.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث هذا تسجيل لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال بحثه:

١. البقاعيّ هو الوحيد الذي رتَّب دلالات معنوية للإظهار والإدغام الصرفيين، ولم يذكر ذلك أحد قبله، ولم يتابعه على ذلك أحدٌ بعده. وهذا الأمر لا يطعن —من حيث المبدأ– في نظريته، ولا يحطُّ من شأنها، ولكن الأهم في هذا المقام أن تثبت هذه النظرية أمام النقد، وتسلم من النقض.

٢. لا بد لنظرية البقاعيّ من أصولٍ وضوابطَ وقواعدَ؛ كي تكون سليمةً وخالية من الثغرات والعيوب، وأهم هذه الأصول والضوابط والقواعد: ضرورة التقيُّد بالقواعد المقررة في علم الصرف فيما يتعلق بمواضع الفك والإدغام، وأن لا تُناقضَ الدلالاتُ المذكورةُ منطوق الآية أو سياقها، وأن تكون الدلالاتُ متطابقةً في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة أو التركيب، وأن تكون الدلالاتُ المذكورةُ متوافقةً مع جميع القراءات المتواترة، وغير ذلك مما هو مفصَّلٌ في محلِّه من البحث.

٣. من أبرز الدلالات التي ذكرها البقاعيّ للإظهار الصرفي: الظهور والجلاء، وهي أكثر الدلالات التي أوردها، ومنها: التفخيم والتعظيم، وبلوغ التمام والكمال، والمبالغة وبلوغ الغاية، ووضوح الحدث، وتأكيد النهي.

٤. من أبرز الدلالات التي ذكرها البقاعيّ للإدغام الصرفي: الْخَفاء وعدم الظهور، وهي أكثر الدلالات التي أوردها، ومنها: كون الشيء في أدنى المراتب، والخداع والاحتيال، وعدم بلوغ الغاية، النُّدْرَةُ والْقِلَّةُ.

٥. من أهم ما تُناقَشُ به نظرية البقاعيّ أنَّه هو نفسه أغفل تطبيق هذه النظرية في مواضع كثيرةٍ جداً من القرآن الكريم، وتطبيقها في تلك المواضع غير ممكن؛ لأن المعاني عليها لن تكون مستقيمةً.

٦. يُصَدِّرُ البقاعيّ كلامه بكلمة «لعل» ونحوها إذا كان الوجه الذي تقتضيه النظرية ضعيفاً أو متكلفاً.

٧. تطرق البقاعيّ –على قلَّةٍ– إلى ترتيبِ معانٍ على الإدغام الكبير والإدغام الصغير، ولم يُكْثِرْ من ذلك. وفي هذا إيماءٌ إلى ضعف هذا المسلك، وعدم اعتباره.

قائمة المراجع:

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) أساس البلاغة، محمود بن عمرالزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ). تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط٣، بيروت: دار الجيل، (د. ت).

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

(٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط)، بيروت: دار الهداية، (د. ت).

(٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (ت ١٤٣٦هـ)، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.

(٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

(٩) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٦٧هـ- ١٩٨٧م.

(١٠) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة - دار المدني / جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

(١٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل العقيلي الهمداني (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث/القاهرة، دار مصر للطباعة، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

(١٣) شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله ابن مالك الجياني (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، د ت.

(١٤) علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(١٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، ضبط وإخراج: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(١٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علَّق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٩٩م.

(١٧) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت.

(١٨) الكتاب، عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(١٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنْزِيل، جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

(٢٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٤٣هـ- ١٩٤١م.

(٢١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

(٢٢) المغازي، محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٢٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم/ دمشق- الدار الشامية/ بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

(٢٤) النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٢٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.